الدكتور علي حجازي

"ثقافة الحياة والأغربة السود"

"قصّة قصيرة "

الطائرات أغربة سود تعربد. تحرث الفضاء. تبحث عن صيد عن ضحيّة.

عدسات الأهل ترقب. جدار الصوت رسالة. قلوب الأحبّة معلّقة .ترجو الله. تدعو لعشاق الأرض السلامة.

العيون مشدودة إلى ألأرض، إلى الفضاء. الأيدي مبسوطة تبتهل.

فجأة . علا الصوت. اهتزت الأرجاء، وحلّ الموت.

وسائل الإعلام ضجّت، إلى هويّة الضحيّة سعت، وانجلى الغبار.

ارتقى الإسم وطار.

عيون الطلاب دمًا سكبت. الثانوية أعلنت الحداد وأقفلت.

--ما الخبر ؟

- - أسرة التعليم حزينة. أستاذ الفيزياء هو الهدف. أنت تعرفه . ومن لا يعرفه.إنّه الأستاذ محمد؟أستاذ الفيزياء والأدب.

- لفّني الحزن. تلفّعت بصمت ثقيل. أغمضت عيني، ورحت أستعيد صورته الجميلة من على مقعد في فضاء تلك القاعة الكبرى في كليّة الآداب.والمأدبة المحبّبة إلى قلبه

مادّة القصّة ،لا ازال أذكر أنّني بعد الانتهاء من الدرس النظري ، وزّعت قصّة "الطالب الجامعي يحاضر شهيدًا عن ثقافة الحياة" ثمّ قرأتها، طالبًا إلى كلّ واحد منهم أن يدرسها دراسة سيميائة في المنزل.

القصّة تحكي عن حسين الطالب الذي يتابع الدروس نهارًا؛ وينقضّ على المحتلّ الغادر بسلاحه ليلًا.

لحظةُ صمتٍ غير معتادة من طلاب يضجّون حيويّة ونشاطًا، ألقيتُ، بعدها، نظرةً طويلةً إلى عيونهم، فأبصرت بريقًا أخّاذًا من الدمع الشفيف يلتمعُ مضفيًا إلى الوجوه التي كانت تتصافح وتتساءل بصمت"إنّ أمثال هذا الطالب الجامعي البطل كثر هنا في هذه القاعة" ، وكان وجه الطالب الأستاذ محمد فرّان ينضح طيبة. ابتسامته تسبقه إلى الكلام على حياء وخفر شديدين

فتحت عيني وأخذت اتكلّم بصوت مسموع:

لماذا تغتال هذه العصابات اللقيطة الهجينة الغريبة القادمة من شتات الأرض،والتي لا تتقن سوى القتل غدرًا، فتستقدم طائرات حربيّة ،و مدافع وصواريخ، لتسكت أصوات الأحرار، عشّاق البذل والحرية،وتسعى إلى كسر أقلامهم، وأسكات أصواتهم؟

أجل انا عرفتك استاذًا للأدب .الآن عرفتك أستاذًا مؤدِّبًا الصهاينة؛ ومعلِّمًا يلقننا دروسًا في حبّ الحياة وثقافتها، وفي الدفاع عن الأرض والعرض والشجر والمقدّسات.

التففت على حزني ،بسطّت كفيَّ ،وشرعت أهديه في عليائه السلام ،وفاتحة الكتاب إلى روحه المتألّقة مع أرواح الشهداء الأبرار في المقام الأعلى من جنان الخلد .